وصايا لأهل الجهاد

احذروا النفاق والمنافقين يا أهل الجهاد

بقلم الشيخ حمد بن عبد الله الحميدي

الحمد لله الــذي السر عنــده علانيــة، يعلم ما تخفي الصدور وما تكنه الضمائر، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شــريك له القائل في وصف قلــوب أهل النفــاق: {فِي قُلُـوبِهِم مَّرَضٌ فَـزَادَهُمُ اللّـهُ مَرَضـاً وَلَهُم عَـذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}.

وأشـهد أن محمـدًا عبـده ورسـوله أمـره ربه بجهـاد الكفـار و المنـافقين فقـال له: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِـدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِـيرُ}، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الـذين سـاروا على هـذا المنهج القويم وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد...

فالنفــاق في اللغــة: هو من جنس الخــداع والمكر و إظهار الخير وإبطان خلافه.

وشرعاً ينقسم إلى أكبر و أصغر.

فالأكبر؛ هو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخـر، ويبطن ما ينـاقض ذلك كله أو بعضه وهذا هو الذي نزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأن صاحبه في الدرك الأسفل من النار.

قال ابن تيمية رحمه اللـه: (فمن النفـاق ما هو أكـبر، يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله بن أبي وغيره، بأن يظهر تكذيب الرسـول أو جحـود بعض ما جـاء بـه، أو عـدم اعتقـاد وجـوب اتباعـه، أو المسـرة بانخفاض دينه، أو المسـاءة بظهـور دينه، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدوا لله ورسوله).

وأما الأصــغر؛ فهو نفـــاق العمـــل، وهو أن يظهر الإنسان علانيةً صالحة، ويبطن خلاف ذلك.

قال الحسن البصري رحمه الله: (كـان يقـال: النفـاق اختلاف السر والعلانيـــة، والقـــول والعمل والمـــدخل

والمخرج، وكان يقال: أُسُّ النفاق الـذي بـني عليه النفـاق الكذب).

قال أبو هريرة وأبو الدرداء رضي الله عنهما: (عـوذوا بالله من خشـوع النفـاق)، قيل وما هـو؟ قـال: (أن تـرى الجسد خاشعا، والقلب ليس بخاشع) [رواه ابن المبارك].

وعن حذيفة قـال: (المنـافق الـذي يصف الإيمـان ولا يعمل به).

قـال بلال بن سـعد رحمه اللـه: (المنـافق يقـول ما يَعــرِفُ، ويعمل ما ينكر) [رواهما الفريــابي في "صــفة المنافق"].

وقد اسـتنبط محمد بن كعب القـرظي ما في حـديث آيه المنـافق ثلاث من القـرآن فقـال: (مصـداق ذلك في كتاب الله: {إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ}، إلى قوله: {وَاللَّهُ يَشْـهَدُ إِنَّ الْمُنَـافِقِينَ لَكَـاذِبُونَ}، وقال تعالى: {وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْـلِهِ}، إلى قوله: {فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَـدُوهُ وَبِمَا كَـانُواْ يَكْـذِبُونَ}، وقـال: {إِنَّا عَرَضْـنَا الْأَمَانَـةَ عَلَى السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَـالِ}، إلى قوله: {لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ} [رواه الطبري في تفسيره].

وروى البخاري: قال أنـاس لابن عمر: (إنا نـدخل على سـلطاننا فنقـول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم)، قال: (كنا نعدها نفاقاً).

ونفاق العمل أصوله خمسة:

أحدهما: إذا حدث كذب.

الثاني: إذا وعد أخلف.

الثالث:إذا خاصم فجر.

الرابع: إذا عاهد غدر.

والخامس: إذا اؤتمن خان.

وهـذه الخصـال كما جـاءت في حـديث عبد الله بن عمرو وأبي هريرة رضي الله عنهما.

واعلم أيها المجاهد...

أن النفـاق خافه سـادات أهل الإسـلام من الصـحابة رضـوان الله عليهم ومن بعـدهم فيجب عليك أن تحـذره وتخافه.

روى مسـلم عن حنظلة الأُسَـيِّدي، قـال: وكـان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم قـال: (لقيـني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟! قال: قلت: نافق حنظلة، قال سبحان الله ما تقول! قـال: قلت: نكـون عند رسـول الله صلى الله عليه وسلم، يُذكّرنا النار والجنـة، حـتى كأنا رأي عين, فإذا خرجنا من عند رسول الله صـلى الله عليه وسلم، عافسنا الأزواج والأولاد والضـيعات، فنسـينا كثـيرا، قال أبو بكر: فوالله، إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر، حـتى دخلنا على رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم قلت: نافق حنظلة، يا رسول الله! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وما ذلـك؟" قلت: يا رسـول الله نكـون عنـدك، تـذكرنا بالنـار والجنـة، حـتى كأنا رأي عين، فـإذا خرجنا من عنـــدك، عافســنا الأزواج والأولاد والضــيعات، نسـينا كثـيرا، فقـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: "والـذي نفسي بيـده لو تـدومون على ما تكونـون عنـدي، وفي الـــذكر، لصـــافحتكم الملائكة على فرشــــكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة" - ثلاث مرات -).

وروى الضــياء في "المختــارة" بســند جيد عن أنس قال: (غدا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فقـالوا: هلكنـا، قـال: "وما ذاك؟!"، قالوا: النفاق، النفاق... الحديث).

وروى الفريابي في "صفة المنافق": (وسئل أبو رجاء العطاردي: هل أدركت من أدركت من أصحاب رسول الله صـلى الله عليه وسـلم يخشـون النفـاق؟ قـال: نعم إني أدركت منهم بحمد لله صـــدراً حســـناً، نعم شـــديداً، نعم شـديداً) - أي يخـافون رضي الله عنهم من النفـاق خوفـاً شديداً -

وعمر رضي الله عنه يســـأل حذيفة: (هل عــــدني رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين؟).

قـــال عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكـــة: (أدركت ثلاثين من أصــحاب النــبي صــلى الله عليه وســلم كلهم يخاف النفاق على نفسه) [رواه البخاري معلقاً].

قال ابن حجر: (وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال، ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك، فكأنه إجماع).

وعن معلى بن زياد: (سمعت الحسن يحلف في هذا المسجد بالله الذي لا إله إلا هو ما مضى مؤمن قط ولا بقي إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضى منافق قط ولا بقي إلا هو من النفاق آمن، وكان يقول: من لم يخف النفاق فهو منافق) [روى ذلك جعفر الفريابي في صفة المنافقين].

وسئل الإمام أحمد رحمه الله: ما تقول فيمن لا يخاف على نفسه من النفاق؟ فقال: (ومن يأمن على نفسه النفاق؟).

وكان الحسن يسمي من ظهرت منه أوصاف النفاق العملي منافقاً، وروى نحوه عن حذيفة.

قال سفيان الثوري رحمه الله: (وخلاف ما بيننا وبين المرجئة ثلاث)، فذكر منها: (نحن نقول: النفاق، وهم يقولون: لا نفاق).

وهذا الذي خافه عمر رضي الله عنه من وجود هذا الصنف على الناس، فقال وهو على المنبر: (إن أخوف ما أخاف عليكم المنافق العليم): قالوا: كيف يكون المنافق عليما؟ قال: (يتكلم بالحكمة، ويعمل بالجور)، أو قال: (المنكر) [رواه الضياء في المختارة].

وقد مثل النبي صلى الله عليه وسلم المنافق كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: (مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع لا تزال الريح تميله، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز، لا تهتز حتى تستحصد).

<u>ولهم صفات ذكرها الله في كتابه والنبي صلى الله عليه وسلم في سنته، فمن صفاتهم:</u>

<u>- الإفساد في الأرض:</u>

كما قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ}.

قـــــال ابن عبـــــاس رضي الله عنهما: (أي إنما نريد الإصلاح بين الفـريقين من المؤمـنين وأهل الكتـاب ألا إن هذا الذي يعتمدونه ويزعمونه أنه إصـلاح هو عين الفسـاد، ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فساداً).

وقال ابن جرير في تفسيره: (فأهل النفاق مفســدون في الأرض، بمعصيتهم فيها ربهم، وركـوبهم فيها ما نهـاهم عن ركوبه، وتضـييعهم فرائضه، وشـكهم في دينه الـذي لا يقبل من أحد عمل إلا بالتصـــديق به و الإيقـــان بحقيقته، وكذبهم المؤمنين بدعواهم غـير ما هم عليه، مقيمـون من الشك والـــريب، ومظـــاهرتهم أهل التكـــذيب بالله وكتبه ورسله على أوليـاء الله إذا وجـدوا إلى ذلك سـبيلاً، فـذلك إفسـاد المنـافقين في الأرض، وهم يحسـبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها).

- ومن صفاتهم؛ قال تعـالى: {إذا أَضَـاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ}:

قال الشنقيطي رحمه الله في تفسـيره: (ضـرب الله هذه الآية مثل المنافقين، إذا كان القـرآن موافقـاً لهـواهم ورغبتهم عملــوا به؛ كمنــاكحتهم للمســلمين وإرثهم لهم، والقسم لهم من غنــائم المســـلمين، وعصـــمتهم به من القتل مع كفـــرهم في البــاطن، وإذا كـــان غـــير موافق لهواهم؛ كبذل الأنفس والأموال في الجهاد في سـبيل الله المأمور به فيه وقفوا وتأخروا، وقد أشار تعـالى إلى هـذا: {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيـقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ}) .

- ومن صفاتهم؛ الصد عن سبيل الله:

كما قال تعالى: {فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ}، أي تمكنــوا من صد بعض النـــاس عن ســـبيل اللـــه، لأن المســـلمين يظنونهم إخوانا وهم أعداء.

وشر الأعداء من تظن أنه صديق.

وهم يتخــذون الأيمــان للصد عن ســبيل الله وبــأنهم إخوانا ناصحون، قال تعالى: {وَيَحْلِفُـونَ بِاللّـهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ}، وقــال: {يَحْلِفُـونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُــوكُمْ}. فهم اتخذوا أيمـانهم جنه للصد عن الحق، وهم من أكـذب الناس في أيمانهم قـال تعـالى: {يَحْلِفُـونَ بِاللّـهِ مَا قَـالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ}.

ولذا حذر الله نبيه صلى الله عليه وسلم منهم بقولـه: {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ}.

فكم صدّوا عن سبيل الله، كتعـويقهم عن الجهـاد كما قـال تعـالى: {قَـدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَـوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَـائِلِينَ لِإِخْـوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَـا}، وبقولـه: {وَقَـالُواْ لاَ تَنفِـرُواْ فِي الْحَرِّ}، وقوله: {الَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَـوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا}.

وكذلك تعويقهم عن النفقة في سبيل الله، قال تعالى عنهم: {لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا}، فردّ الله عليهم بقوله: {وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}.

فهذا شـيء من تعويقـاتهم لأهل الإيمـان الـتي يتجلى فيها خبث الطوية وعظم العـداء، فهم يتمســحون بالنصح والمصلحة لأهل الإسلام، وفي حقيقة أمرهم قومٌ خاذلون، لهم دالون العدو على عورات المسلمي،ن قد باعوا دينهم بـــالعيش مع الكفــــار - كما هو الواقع لبعض من ينتسب للدعوة – {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَـالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَـوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ}.

فهم من شر النـــاس كما جـــاء في الصـــحيحين من حـديث أبي هريـرة رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: (تجدون من شر الناس ذا الوجهين الـذي يـأتي هـؤلاء بوجـه، وهـؤلاء بوجه) [رواه البخـاري ومسلم].

قال القرطبي رحمه الله: (إنما كـان ذو الـوجهين شر النــاس؛ لأن حاله حـــال المنــافق، إذ هو متملق بالباطل وبالكذب، مدخل للفساد بين الناس).

وما أعظم ما وصـفهم النـبي صـلى الله عليه وسـلم، كما في حـديث ابن عمر رضي الله عنه عن النـبي صـلى الله عليه وسـلم قـال: (مثل المنـافق كمثل العـائرة بين الغنمين، تعــير الى هــذه مــرة وإلى هــذه مــرة) [رواه مسلم].

وهذا دليل على حيرتهم وترددهم.

وقد وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بأن حقيقتهم هي دعوة الناس إلى النار.

جاء في الصحيحين عن حذيفة؛ لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (نعم... دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها)، فقلت: (يا رسول الله صفهم لنا؟)، قال: (نعم... قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا... الحديث)، وفي رواية لمسلم: (وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس).

- ومن صفاتهم؛ الإعراض عن الجهاد:

(من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق) [رواه مسلم].

بل جعلوا الجهاد جريمة، حذروا أتباعهم منه، فكيف يحدث نفسه بالجهاد من هذه طريقته؟!

- ومن صفاتهم؛ الشح:

{وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ}.

فهذا حال من أنفق كارهًا، فكيف بمن ترك النفقة رأساً؟!

- ومن صفاتهم؛ الجبن والفزع:

فقال تعالى: {وَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ}.

أخرج أبو داود بسندٍ جيدٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (شر ما في رجلٍ: شحٌ هالع، وجبنٌ خالع).

- ومن صفاتهم؛ الاستئذان بترك الجهاد:

{لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ}.

فهذا إخبار من الله بأن المؤمن لا يستأذن الرسول في ترك الجهاد، وإنما يستأذنه الذين لا يؤمن، فكيف بالتارك من غير استئذان، فكيف بالمتتبع للمجاهدين لتسليمهم للطواغيت؟!

- ومن صفاتهم؛ الإرجاف لأهل الإيمان والجهاد:

{لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا * سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا}، وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا}.

فقالت طائفة منهم: لا مقام لكم هنا, لكثرة العدو، فارجعوا إلى المدينة، وقيل: لا مقام لكم على دين محمد, فارجعوا إلى دين الشرك، وقيل: لا مقام لكم على القتال, فارجعوا إلى الاستئمان والاستجارة بهم.

قال ابن تيمية رحمه الله: (وهكذا لما قدم هذا العدو وكان من المنافقين من قال: ما بقيت الدول الإسلامية تقوم, فينبغي الدخول في دولة التتار، وقال بعض الخاصة: ما بقيت أرض الشام تسكن, بل ننتقل عنها, إما إلى الحجاز واليمن, وإما إلى مصر، وقال بعضهم: بل المصلحة الاستسلام لهؤلاء, كما قد استسلم لهم أهل العراق, والدخول تحت حكمهم. فهذه المقالات الثلاث قد قيلت في هذه النازلة، كما قيلت في تلك، وهكذا قال طائفة من المنافقين, والذين في قلوبهم مرض، لأهل دمشق خاصة والشام عامة؛ لا مقام لكم بهذه الأرض).

فما أشبه الليلة بالبارحة؟!

- ومن صفاتهم؛ المسارعة إلى الكفار:

قال تعالى: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ}. وكما قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ}

- ومن صفاتهم؛ أنهم يريدون إيقاع الفتنة بين أهل الإسلام:

قال تعالى: {لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ}.

فهم حريصون على خذلانكم وإلقاء الشر بينكم وتثبيطكم عن أعدائكم، وفيكم من يقبل منهم.

وهذا هو الواقع اليوم؛ يحاولون خذلان المجاهدين وتثبيطهم عن عدوهم، كما يحصل اليوم في القنوات الهدامة، وخاصة من تبث السموم والشبهات وتعيق أهل الجهاد، فانظر ما تبثه "قناة المجد" من هذه الأفكار الخبيثة ضد المجاهدين، في كل ساعة تطالعنا بمنافق عليم النفاق، أو رجل ذي وجهين، أو إنسان مغفل، ومن يستمع إليها وصفه الله؛ {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ}، أي مستجيبون لدعوتهم ويغترون بهم.

أو المجلات التي تنشر شبهاتها وسمومها وتبث بأن أهل الجهاد بينهم عداوة، تريد أن تفرق بينهم وتفت من عضدهم، فهم يعرفون بلحن القول، فكل من دعا إلى "التعايش" فهو من هذا الصنف - لا كثرهم الله - فأعراض المجاهدين عندهم "لحم نعام مشوي"، وأما لحوم الدعاة على أبواب جهنم؛ فلحومهم مسمومة! ساء ما يحكمون.

لم يتجرأ الكفرة ولا المرتدون على إظهار كفرهم وردتهم في ديار المسلمين إلا من هذا الصنف المنبطح، الذي يغضب على قتل الكفار والمرتدين ويفرح بقتل أولياء الله المجاهدين.

فهم قد عقدوا الولاية مع الكافرين والمرتدين، وقطعوا الولاية عن الله ورسوله وعباده المؤمنين، قال تعالى مبيناً أخوتهم للكافرين: {أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}.

فيا أهل الجهاد...

لا يفتوا من عضدكم، وامضوا فالله معكم وناصركم.

وأما أهل النفاق فليست قلوبهم متوادة متوالية، بل يلعن بعضهم بعضا، إلا مادام الغرض الذي يؤمّونه مشتركاً بينهم، قال تعالى: {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى}،

بخلاف أهل الإيمان؛ فإن بينهم المحبة والنصرة، ولو بظهر الغيب وإن تناءت بهم الديار, وتباعد بينهم الزمان.

- ومن صفاتهم؛ أنهم ناشرون للفساد مظهرون، لكل منكر قامعون كل معروف:

قال تعالى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ 67 وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ}.

فهم يأمرون بالكفر والفسوق والعصيان، وما دعوى "الحوارات الوطنية" إلا واحدة من ذلك، فتجد عن يمينه من أهل الكفر وعن يساره؛ إمامًا من أهل الكفر، ويتسع صدره لهؤلاء ولا يتسع صدره لحوار مع أحد المجاهدين.

أما نهيهم عن المعروف؛ فهم محاربون للتوحيد الذي جاءت به الرسل والسنة المطهرة، وخاصة أعظم شعيرة فارقت بين المنافقين والمؤمنين، وهي شعيرة الجهاد، فهم محاربون لها ولأهلها، وصادون عنها بكل الوسائل، نسأل الله أن يثبتنا على دينه ولا يفضحنا بين خلقه في الدنيا والآخرة.

وهكذا الحوار الذي عُقد عن المرأة، وخرج بتسعة قرارات، كلها داعية لمجون المرأة وعريها، وقد شارك فيه كثيرٌ من أدعياء الصحوة المشؤومة.

والمنافقون اليوم أشر من المنافقين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فعن حذيفة رضي الله عنه قال: (إن المنافقين اليوم شر من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانوا يسرون واليوم يجهرون).

نعم إنهم يجهرون اليوم لو كان عبد الله بن أبي موجوداً؛ لأنكر على المنافقين اليوم نفاقهم... نعم ينكر حياءً من الناس، أما هؤلاء فنزع منهم الحياء، هل تظنون بأن عبد الله بن أبي ينادي على الملأ بالإفراج عن أسير نصراني صليبي حربي؟! أو ينادي المجاهدين ويسعى في ذلك سعياً حثيثاً بتسليم أنفسهم؟! هل حصل ذلك من عبد الله بن أبي لما جهز ملك غسان قوته وكان الصحابة يخافون كل يوم أن يأتيهم ملك غسان بقوته؟! - كما قال

ذلك عمر كما في الصحيح - فهل قال لهم؛ سالموا ملك غسان؟! أو استسلموا؟! أو غير ذلك؟! فقبح الله من كان نفاق عبد الله بن أبي أهون على الإسلام منه.

عبد الله بن أبي يسر نفاقه، وهؤلاء لم يتحملوا الإسرار، فأعلنوا للملأ ما تكن ضمائرهم.

فعن حذيفة رضي الله عنه قال: (إنما كان النفاق على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فأما اليوم فهو الكفر بعد الإيمان) [رواه البخاري].

لقد فقتم أيها "المتعايشون" نفاق عبد الله بن أبي، لو خرج اليوم عبد الله بن أبي لتبرأ من هذا النفاق... لكن "لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه" - يقول أنس رضي الله عنه: (سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم) [رواه البخاري].

والمنافقون كانوا يصلون ويزكون؛ {قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ}، وكانوا لا يرون الإنفاق على الذين عند رسول الله؛ {لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا}، وهكذا اليوم لا تدعم المجاهدين.

وقال تعالى: {وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ}.

قال مجاهد: (يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله).

وقد توعدهم الله على هذا من أمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف وقبضهم أيديهم؛ بالعذاب المقيم - أي الدائم في الدنيا والآخرة - ففي الدنيا؛ ما يحصل له من الهم والغم والآلام، ويجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم، ويوم القيامة؛ في الدرك الأسفل من النار.

وكانوا يشهدون المشاهد مع رسول الله، كما شهد ذلك عبد الله بن أبي، قال تعالى: {لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ}.

وكانوا لا يرون جهاد النبي جهادًا، قال تعالى: {وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ}؛ قوموا بالذب عن دين الله وكثروا سواد المسلمين أو ادفعوا عنهم بالدعاء ولهؤلاء المجاهدين،

فرد هؤلاء المنافقون: {قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ}، أي أن قتال محمداً ومن معه ليس جهاداً.

كما هو الواقع اليوم؛ لا يسمون الجهاد الذي فيه إخراج المشركين من جزيرة العرب وتطهيرها من أدناس الكفرة المحتلين - فكرياً ومادياً وسياسياً حتى عسكرياً - والقيام على المرتدين، ومع ذلك يسمون المجاهدين "خوارج" و "إرهابين"، وليس قتالهم جهاد إنما هو فتنة... ألا في الفتنة سقطوا.

{وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا}، وقوله: {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا}.

قال ابن تيمية رحمه الله: (قال العلماء: كان من المنافقين من يرجع من الخندق فيدخل المدينة، فإذا جاءهم أحد قالوا له: ويحك! اجلس، فلا تخرج، ويكتبون بذلك إلى أخوانهم الذين بالعسكر: أن ائتونا بالمدينة، فانا ننتظركم، يثبطونهم عن القتال، وكانوا لا يأتون العسكر إلا ألا يجدوا بداً، فيأتون العسكر ليرى الناس وجوههم، فإذا غفل عنهم عادوا إلى المدينة، فانصرف بعضهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد أخاه لأبيه وأمه وعنده شواء ونبيذ، فقال: أنت ههنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف؟ فقال: هلم إلي، فقد أحيط بك وبصاحبك)!

- ومن صفاتهم؛ أنهم يجمعون بين التخلف عن الجهاد وبين الاعتراض والتكذيب بقضاء الله وقدره:

كما قال تعالى: {لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ}، وكما قال تعالى: {لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}.

ومعلوم أن الفرار لا يمنع من الموت أو من القتل، قال تعالى: {قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً}، فمضمون هذه الآيات: أن المنايا مقدرة محتومة.

فكم ممن حضر القتال فسلم، وكم من فر من المنية فصادفته.

فهذا سيف الله المسلول خالد بن الوليد؛ لما احتضر كان ببدنه بضع وثمانون، ما بين ضربة بسيف وطعنه برمح، ورمية بسهم، [فقال]: (وهأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير! فلا نامت أعين الجبناء).

ولم نتكلم عن الدولة ومنافقيها من العلمانيين والحداثيين وغيرهم ممن اتضح للناس كفرهم ونفاقهم، وإنما أردنا أن نتكلم على من التبس أمرهم عند بعض طلبة العلم والعوام، لما لهم من السابقة في الإنكار والدعوة، فأردنا التنبيه على ذلك، والله من وراء القصد.

ثم احذروا يا أهل الجهاد أن تخترقوا من قبل المنافقين، فكم سقطت من دولة، وكم أحبطت من عملية ضد الكفار، وكم قتل من أولياء الله وكشفت مخططاتهم من قبل هذا العدو.

فاحذروا يا أهل الجهاد من النفاق، أن تقعوا فيه واحذروا أهله.

فإن أهله ذوي فصاحةٍ وبلاغة و أشكال حسنة، قال تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ}، فهم قوم يجلبون الناس إليهم بحسن أجسامهم وجمال منطقهم، لكن حقيقتهم؛ {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ}.

ثم احذروا يا أهل الجهاد؛ مما يفسد جهادكم أو ينقصه.

فلله الحمد والمنة؛ رايتكم واضحة، وعقيدتكم سالمة من الشرك وأنواعه، وخالية من البدع والأهواء - نحسبكم كذلك والله حسيبكم ولا نزكي على الله أحد - إذا حافظوا على ذلك بسلامة نيتكم في القتال.

لقوله عليه الصلاة والسلام: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى).

في الصحيحين من حديث أبي موسى قال: (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ قال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله")، وفي بعض الألفاظ: (الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة).

وعند النسائي عن أبي أمامة، قال: (جاء رجل فقال: يا رسول الله: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ماله؟ قال: "لا شيء له"، فأعادها ثلاثا، كل ذلك يقول"لا شيء له"، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا ابتغي به وجهه").

وجاء عند مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه، رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكن قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار).

وعن عبد الله بن عمرو، قال: (يا رسول الله، أخبرني عن الجهاد والغزو؟)، فقال: (يا عبد الله بن عمرو، إن قاتلت صابراً محتبساً بعثك الله صابراً محتسباً، وإن قاتلت مُرائياً مكاثراً بعثك الله مُرائيا مكاثراً، يا عبد الله بن عمرو، على أي حال قاتلت أو قتلت بعثك الله على تلك الحال) [رواه أحمد وأبو داود].

فالإخلاص... الإخلاص؛ إذا أردتم الخلاص.

قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}.

اسأل المولى أن يعيذنا من النفاق، وأن يصلح قلوبنا، وأن يثبتنا على صراط مستقيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

عن مجلة صوت الجهاد
العدد 22،
1425 هـ

